التوافق الخليجي.. بين الواقع والمأمول

د. عبد العزيز بن عثمان بن صقر

لا يختلف أحد مع حقيقة أن أهل قطر ودولة قطر يمثلون جزءا مهما وغاليا من العائلة الخليجية، ولا أحد يختلف مع حقيقة أنه لا توجد عائلة تخلو من تضارب الآراء والمواقف بين أبنائها، ولكن في الوقت نفسه يجب الإقرار بأن التعامل ضمن العائلة الواحدة له قواعد وأصول تفترض على الجميع احترامها، وأن هناك واجبات والتزامات يجب أخذها بعين الاعتبار، وأن هناك منافع متعددة في المحافظة على وحدة العائلة وتماسكها أمام التحديات والتهديدات الخارجية التي تشكل تهديدا لأمن واستقرار البيت الخليجي ككل، وهذه قضية لا يمكن الانفراد بها لكونها قضية مصير تمس أمن وسلامة الجميع، وانطلاقا من هذه الخلفية جاء قرار المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين، بسحب سفراء الدول الثلاث من دولة قطر ليعبر عن موقف دبلوماسي يعكس حالة من الاستياء طبقا للأعراف الدبلوماسية من العواصم الثلاث تجاه الدوحة، وهو رسالة عتب ولا يحمل أي بعد عقابي.

وهذا القرار الذي لم نكن نتمناه ليس بغريب في العلاقات الدولية حتى بين الدول التي تشترك في تكتل واحد أو في ظل حالة من حالات الاتحاد، لأن لكل دولة سياستها الخاصة التي قد تختلف مع بقية دول التكتل أو الاتحاد، وليس سرا أن يكون هذا القرار لم يشكل مفاجأة للمتابعين للشأن الخليجي ولمن يعرفون ما كان يدور في أروقة السياسة الخليجية خاصة في السنوات الثلاث الأخيرة، أي إثر اندلاع ما يُعرف بثورات الربيع العربي التي شهدتها بعض الدول العربية بعد أن ظل مجلس التعاون صامدا في وجه الأمواج العاتية التي ضربت المنطقة ولا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة التي شهدت حروبا ضارية وأحداثا جسيمة، فقد أثبتت دول الخليج قدرة فائقة على التعاون والتنسيق لتجاوز الأزمات منذ اندلاع حرب الخليج الأولى، وقيام مجلس التعاون الخليجي كمنظومة ناجحة، ثم استطاعت دول المجلس أن تتجاوز أخطر أزمة وأجهتها في حرب الخليج الثانية عندما اجتاحت قوات صدام حسين دولة عضوا في مجلس التعاون الخليجي وهي دولة الكويت وما ترتب على ذلك من إزالة آثار هذا العدوان الغاشم وتحرير دولة الكويت الشقيقة، وكان الاختبار التالي في اجتياح القوات الأمريكية والدولية للعراق وإسقاط نظام صدام حسين عام 2003، مرورا بأحداث 11 سبتمبر 2001، وتداعياتها، وأحداث القضية الفلسطينية، وتطورات الحرب في أفغانستان، وتذبذب أسعار النفط، والموجات الإرهابية التي ضربت الكثير من دول المنطقة.

فرغم هذه الأحداث الجسام نجحت دول الخليج في تجاوز الأزمات بفضل حكمة الزعماء، وتلاحم الشعوب، وتوحيد المواقف والقرارات، رغم أن هذا الوفاق أو الاتفاق الخليجي لا يروق لكثير من القوى الدولية والإقليمية التي تريد أن تتدخل في الشأن الخليجي.

في المرحلة الحالية، تواجه دول الخليج تحديات من نوع آخر لا تقل خطورة عن التحديات التي عصفت بالمنطقة من قبل، فدول الخليج مستهدفة في أمنها واستقرارها واستقلالها، وعلى الرغم من ذلك ومنذ فترة وخاصة بعد ما يسمى بثورات الربيع العربي راهنت حكومة قطر على بزوغ نجم جماعات الإسلام السياسي، وأرادت أن تحجز لها مقعدا بين هذه الجماعات لذلك ساندتها بالدعم متعدد الأشكال سواء الدعم المالي، أو الإعلامي، أو بالإيواء وتوفير الملاذ الآمن لأعضاء من هذه الجماعات الذين وجهوا سهامهم إلى صدور دول الخليج والدول العربية الشقيقة من دون مبرر ومن دون سبب مقنع يقود إلى أن تسمح قطر بذلك أو تتبناه بشكل معلن ومن دون مواربة أو يجعلها تغرد خارج سربها الخليجي الذي يؤمن بسياسة حُسن الجوار، وعدم التدخل في شؤون الآخرين وعدم السماح للآخرين بالتدخل في شؤون دولهم، وللحقيقة كانت هناك رسائل كثيرة للفت انتباه الدوحة إلى خطورة هذه الممارسات التي تزج بقطر ودول الخليج في أتون خلافات غير محمودة العواقب، ولا تحقق مكاسب إلا خدمة أهداف ومخططات دول إقليمية أخرى، وتزيد شقة الخلاف بين مجموعة الدول المتجانسة وذات المصير المشترك. فالعلاقات الأخوية تنطلق من التاريخ المشترك، والمصير الواحد، ومصالح الشعب الخليجي الواحد.

وإدراكا من دول الخليج لخطورة الظرف الزمني، وللمخططات التي تستهدفها، ولما يحاك لها، فقد كانت هناك محاولات متكررة لرأب الصدع وترتيب البيت الخليجي بهدوء ولعل آخرها ما قام به أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الصباح من محاولات أخوية صادقة لإقناع قطر بالتخلي عن سياستها التي تضر بدول مجلس التعاون الخليجي وتعرض أمنها للخطر، وكذلك التأثير السلبي على العمل العربي المشترك والانحياز إلى جماعات الإسلام السياسي التي عزلتها شعوبها واعتبرتها جماعات إرهابية، لكن قطر استمرت في نهجها، وللأسف لم تتجاوب وظلت في توجهها الذي يعيق العمل الخليجي ويعطل التنسيق السياسي والأمني ويسمح للآخرين باستغلال ذلك للتدخل في شؤوننا الداخلية.

لذا جاء البيان الذي صدر عن الدول الثلاث وتضمن سحب السفراء من الدوحة يحمل مرارة واضحة بعد استنفاد كل المحاولات الودية، وركز هذا البيان على عدة قضايا مثلت الخرق الواضح لثوابت العلاقات الخليجية وخرق ميثاق مجلس التعاون الخليجي، وتمثل ذلك في رفض الدوحة التوقيع على ميثاق الرياض، وتدخل الدوحة في الشأن الداخلي لدول الخليج الأخرى، ودعم أطراف تهدد أمن الدول الخليجية، ودعم التوجه الإعلامي المعادي لدول الخليج.

ومع ذلك نأمل أن تعي دولة قطر الدرس وتتجاوز هذه الأزمة الدبلوماسية وتعود إلى محيطها لتكون عامل استقرار وبناء بين شقيقاتها تحت مظلة مجلس التعاون الذي يسعى إلى أن يتحول إلى اتحاد، وأن تغلق الدوحة ملفات الاختلاف وتفتح صفحات الوفاق، وأن تكون قطر حلقة وصل للتقارب العربي وليس لتفريقه وتشتيته، وأن تلتزم بالأعراف الخليجية في عدم التدخل في شؤون الآخرين، وألا تسمح للآخرين بالتدخل في شؤون دول الخليج، وتحترم إرادة الشعوب في اختيار حكوماتها وأنظمتها، بدلا من محاولة فرض واقع جديد.

ما يجب قوله هنا إن تحالفات دول مجلس التعاون، خارج إطار منظومة المجلس مع دول أو جماعات، لا تعد أمرا مرفوضا أو مضرا، وهو حق سيادي لجميع دول المجلس ومن ضمنها دولة قطر، ولكن يجب الإدراك أن هذه التحالفات يجب ألا تكون على حساب المصالح الحيوية، أو على حساب أمن واستقرار دول المجلس الأخرى، ويجب ألا تكون بديلا عن علاقات جيدة ومتوازنة ضمن البيت الخليجي، ولا يمكن أن تكون وسيلة استقواء على البيت الخليجي، ولا وسيلة لزعزعة الثقة ضمن البيت الخليجي.

لذا فإن ما هو متوقع من القيادة في دولة قطر الشقيقة أن تعيد النظر في أولوياتها، آخذة بعين الاعتبار كون الأمن والاستقرار الخليجي «كلا لا يتجزأ» وغير قابل للمساومات، وكون التحالفات الخارجية لا تعدو عن كونها وسيلة مؤقتة وأسلوبا تكتيكيا، يجب ألا يعلو على المصالح الخليجية العليا ذات الطبيعة الاستراتيجية.

عن «الشرق الأوسط» اللندنية

كنت مع السميط!

سلمان العودة

عبد الرحمن السميط رقم لا يتكرر كثيراً، التواضع والبساطة سيماؤه، لا يرى لنفسه شيئا ويتعامل مع الآخرين كأساتذة وملهمين .. وهو الأستاذ الملهم!

كتبوا عنه كثيرا، عن اسمه، ومولده، ونشأته، وحياته، وجهوده، ورحلاته، وقصصه.. معظم من كتبوا أو تحدثوا كانوا معه في نشاط أو مجلس .. فهو ممن وهبوا حياتهم لخدمة الناس فاقتربوا منهم وقاسموهم السراء والضراء.

لن أكرر ما كتبوا وقالوا .. وإن كان ذلك جميلا:

أعِدْ ذِكرَ نعمانٍ لنا إنَّ ذِكرَهُ ××× هُوَ المِسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يتضوَّعُ!

لكنّي أغبط صَديقي وأستاذي عبد الرحمن السميط –رحمه الله– على خصال:

أولاها : الإخلاص والنية الطيبة فهو يعمل ما يعمل لله، نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا، لا يبحث عن شهرة ولا منصب ولا تكريم، ولم يكن حلمه أن يقام له احتفال أو يطلق اسمه على شارع أو جامع ..

الثانية : التخصص والتركيز .. فقد جعل همّه الأكبر العمل الإغاثي والدعوي واعتنى بالقارة المنسيّة «أفريقيا»، وحفر وبنى وأسس وعلّم وترك أثرا يتعاظم حتى بعد رحيله، ولم يشتت نفسه في ميادين متباعدة كما نفعل نحن.

الثالثة : الصبر واحتمال الأذى، يوماً ما كان في المستشفى كالطير في القفص محبوساً عن الانطلاق إلى مهماته التي يعشقها، وكان شباب في سن أحفاده يتمضمضون بالوقيعة في عرضه، وعادة ما تكون التهمة مناسبة لنوع العمل الذي يدأب فيه المرء، فيتهم العامل في الحقل الإغاثي بالحظوظ الشخصية ورعاية المصالح الذاتية أو الانحياز لطرف ما لدوافع حزبية أو غيرها ..

الرابعة : حمل الهمّ .. فهو صاحب قلب كبير .. ينوء بثقل المسئولية حتى أصابه الإعياء مبكرا ..

شكَى إليَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى ××× صَبْرًا جَمِيلا فكلانَا مُبْتَلَى

روحهَ خفّاقة .. وحلمه كبير .. ولكن دقات القلب كانت تقول له :

رويدا ولا تحمل من العبء فوق ما ××× تطيق .. وسلّ النفس بالغدوات.

وأخيرا كف هذا القلب الكبير عن الخفقان وهمد هذا الجسد الذي لم يدع بقعة يقدر أن يطأها وينفع أهلها إلا فعل ..

ترجّل هذا الفارس الشهم وبقيت صفحته مفتوحة، وذكره يعطر المجالس.

اللهم ارحم عبدك «عبد الرحمن السميط»، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوّر له فيه.

لأن الإنسان هو صفوة ما خلق الله على الأرض، فخدمته ومساعدته مجلبة لرضا الله وسبب للسعادة العاجلة.

فعل الخير وعمل التطوع شعار نبوي رائع .. ويكفي أنه ضمن دائرة العمل الطيّب المتفق على خيرته ومدحه ومدح القائمين عليه والثناء عليهم أحياءً وأمواتا .

عن «المصريون» القاهرية

أيباك.. منظمة أمريكية أم عميلة لإسرائيل؟

مروان بشارة

افتتح مؤتمر «ترويج إسرائيل» السنوي في العاصمة الأمريكية واشنطن هذا الأسبوع في ظروف استثنائية، حيث خيم على أجوائه الانشغال الأمريكي بالشأن الأوكراني من جهة، وإصرار إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما على التفاوض مع إيران وفلسطين بعكس رغبة نتنياهو.

إلا أن كل ذلك لم يؤثر سلبا في مستوى تفاؤل الحاضرين في مؤتمر لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية «أيباك» بمستقبل العلاقات الامريكية الإسرائيلية، ويبدو أن لتفاؤلهم سببا وجيها.

إذا كان الشأن السياسي محليا برمته بشكل أو بآخر، فإن انتخابات الكونغرس النصفية المقبلة يمكن أن تعزز قدرة أيباك على لعب لعبة «العصا والجزرة» فيما يتعلق بتركيبة الكونغرس، وخاصة مجلس الشيوخ، وينجر ذلك على تأثيرها في الأجندة التشريعية لواشنطن في السنتين المقبلتين.

أيباك في موقع جيد للتأثير في سير حمى المنافسات الانتخابية في عموم الولايات المتحدة. ويتجلى ذلك في ما ذكره رئيس اللجنة المنصرف مايكل كاسن أمام أعضائها يوم الأحد الماضي حيث قال: بينما تلعب السياسة كعامل «فرقة لأمريكا»، فإنها «توحد» اللوبي اليهودي.

وعلينا ألا ننسى أن عقيدة أيباك تضع نصب عينيها هدفا واحدا وقضية واحدة فقط لا غير: إسرائيل.

الرئيس أوباما يعلم ذلك علم اليقين. ولهذا السبب قرر إرسال وزير خارجيته لمؤتمر أيباك وأن يلتقي هو شخصيا مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو «والذي أعتقد أنه يبغضه بشدة».

نجاح أيباك

تأسست اللجنة في خمسينيات القرن الماضي، ومدّها انتصار إسرائيل في حرب عام 1967 بزخم قوي، وأصبحت أعتى وأكثر جبروتا في منتصف السبعينيات.

تُعرف أيباك في واشنطن بأنها «اللوبي»، هكذا ببساطة. تاريخيا، استمدت هذه المؤسسة قوتها من عاملين رئيسيين: الأول داخلي، ويتمثل في حضور رؤساء جميع الطوائف اليهودية الرئيسية التسعة والأربعين في الولايات المتحدة في لجنة أيباك التنفيذية، وهي مجموعات تعرف بتنظيمها ونفوذها.

والثاني دولي، ويقوم على أهمية إسرائيل الإقليمية بالنسبة للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط الغنية بالنفط وتضم أعداء الحرب الباردة التقليديين.

وبطبيعة الحال، فإن هذين العنصرين قد مهدا الطريق لتحالف سياسي أوسع وأشمل وأقوى بين اللوبي اليهودي ومجموعات متنوعة المصالح تبدأ من المسيحيين الإنجيليين ولا تنتهي بالمجموعات العسكرية العقائدية، ويكون هذا الطيف بمجمله ما يعرف بـ «اللوبي الإسرائيلي في أمريكا».

وتتمتع أيباك بنفوذ في الكونغرس وبرنامجه التشريعي بفضل عامل الضغط الذي تمارسه في العاصمة واشنطن على البيت الأبيض والسياسة الخارجية سواء في الشرق الأوسط أو العالم.

إستراتيجية أيباك هي إستراتيجية مساومة وتبادل مصالح. فهي تساعد المشرعين والمشرعات على الفوز في الانتخابات التشريعية، ومن ضمن ذلك الدعم المالي، وفي المقابل يرد لها على شكل دعم للقضايا التي تهمها.

وبنفس المبدأ، فأيباك تساعد الرؤساء الأمريكيين على تمرير برامجهم في الكونغرس باستخدام نفوذها على المشرعين الذين ساعدتهم على الفوز بمقاعدهم التشريعية، ويرد لها هذا الصنيع على شكل دعم البيت الأبيض للقضايا التي تهمها وعلى رأسها إسرائيل.

لقد نجحت أيباك بصورة عامة عندما اتخذت موقع العين والرقيب الساهر على مصالح إسرائيل وعلاقتها الوثيقة بالولايات المتحدة.

ولكن عندما لعبت دور عميل إسرائيل الذي لا يتردد بفتح النار على أي منتقد لسياسة إسرائيل القصيرة النظر فيما يتعلق بالأمن والرغبة في التوسع، فإن النتائج كانت في أفضل الأحوال، متباينة.

إخفاقات أيباك

دشنت أيباك بداية كل عقد من العقود الماضية بافتعال أزمة مع البيت الأبيض، بالنيابة عن إسرائيل.

في عام 1981 كانت هناك قضية بيع طائرات الإنذار المبكر «أواكس» للسعودية، وفي عام 1991 مسألة ضمان القروض المتعلقة بإسرائيل، وفي عام 2001 حلف مكافحة الإرهاب الذي أقامه جورج بوش «الابن» مع عدد من الدول العربية، ومنذ عام 2011 قضية التفاوض مع إيران.

لقد كان رونالد ريغان أول مرشح رئاسي يجمع عددا من الأصوات اليهودية لصالحه يفوق ذلك الذي حققه منافسه الديمقراطي، وأصبح بذلك من أشد وأشرس الداعمين لإسرائيل، رافعا مستوى العلاقة معها إلى مستوى حليف إستراتيجي دولي.

ورغم كل ذلك، لم تتردد أيباك في شن هجوم سياسي لاذع ضد إدارة ريغان ووزير دفاعه كاسبر واينبرغر لدعمهم صفقة الأواكس مع السعودية والتي قدرت في وقتها بثمانية مليارات دولار. قامت أيباك حينها بتصعيد القضية، ولكنها خسرت في النهاية خسارة موجعة ومهينة.

إلا أن اللوبي اليهودي استل سيفه من جديد مع بداية العقد اللاحق وتحديدا عام 1991، عندما ربطت إدارة جورج بوش «الأب» ضمانات القروض المقدرة بعشرة مليارات دولار بوقف بناء المستوطنات الإسرائيلية. لقد كان ثمنا بخسا لاستحداث حلف أمريكي جديد بعد الحرب الباردة وانتصاراتها في حرب الخليج.

إلا أن أيباك وربيبتها إسرائيل لم يتمكنا من رؤية المشهد من منظور أوسع.

وبعد وقت قصير من فوزه بالانتخابات للمرة الثانية عام 1992، كان التحدي الأول الذي ينتظر رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين هو: لجم أيباك.

وسرعان ما بدأ رابين حملة توبيخ لأيباك –وهو الدبلوماسي والسفير الإسرائيلي السابق في واشنطن– متهما إياها بافتعال أزمات ليس لها معنى مع واشنطن.

وبسرعة البرق، منحت واشنطن ضمانات القروض لإسرائيل، وفي الوقت ذاته تسارعت وتيرة الاستيطان بشكل لم يسبق له مثيل، حتى زاد عدد المستوطنين الإسرائيليين بنسبة 50% خلال فترة حكم رابين بين عام 1992 حتى اغتياله عام 1995.

ومرة أخرى، في أكتوبر/تشرين الأول عام 2001 تبنت أيباك تهديد رئيس الوزراء الإسرائيلي حينها أرييل شارون للولايات المتحدة بأنها جازفت باسترضاء العرب بنفس الطريقة التي جازفت بها دول أوروبا الديمقراطية باسترضاء هتلر عشية الحرب العالمية الثانية.

ذلك الاستفزاز الرخيص، كان بإمكانه أن يتصاعد بسهولة إلى مواجهة سياسية مفتوحة بين الولايات المتحدة وإسرائيل لولا موقف إدارة بوش «الابن» الداعم لإسرائيل حينها، ورغبة واشنطن في التعاون مع إسرائيل في حربها ضد ما يسمى «الإرهاب».

بعد ذلك تكرر هذا السيناريو مرة أخرى عامي 2011/2010 عندما بدأت أيباك مواجهة مع إدارة أوباما حول عملية السلام وبرنامج إيران النووي.

وكان التوتر قد تصاعد في أوائل العام الجاري، بعد أن حاولت أيباك دفع الكونغرس لفرض عقوبات جديدة بما يتعارض مع بنود الاتفاق المؤقت الذي وقع بين إيران ودول 5+1 التي تضم الولايات المتحدة.

ونظرا للدعم الشعبي للاتفاق المؤقت والردع المتمثل بالفيتو الرئاسي، وضعت أيباك خططها بشأن العقوبات جانبا إلى إشعار آخر.

في هذه الأثناء، كانت المعارضة الحقيقية لأيباك لا تأتي فقط من البيت الأبيض، بل من الجالية اليهودية الأمريكية نفسها، وهي جالية داعمة لإسرائيل بطبيعة الحال، ولكن لا تحبذ بالضرورة طريقة أيباك.

لقد بدأت أصوات يهودية ناقدة لأيباك وسياسة إسرائيل التوسعية بالظهور أكثر فأكثر، رغم أنها تبقى أقلية ضمن المجموعات اليهودية المنظمة تنظيما عاليا.

وفي هذا السياق، بدأت مجموعات يهودية جديدة مثل جي ستريت بترك بصمتها على المشهد السياسي في واشنطن.

أيباك وقاحة إسرائيلية

وطبقا لما أوردته الصحيفة اليهودية اليومية «فوروارد»، فقد عقد رؤساء المؤسسات اليهودية الرئيسية اجتماعا في القدس مؤخرا مع نتنياهو، وقد قيل لهم في هذا الاجتماع أن «يعودوا إلى المواجهة مع البيت الأبيض فيما يخص زيادة العقوبات، وذلك بعد 11 يوما من إعلان أيباك عن وقف جهودها في هذا الصدد».

وسيكشف المستقبل القريب إن كانت هذه السياسة التي تعتمد على المواجهة ستسبب هزات ارتدادية تضرب إسرائيل، أم ستصب في مصلحة نتنياهو في مساوماته المستمرة مع أوباما حول إيران وفلسطين؟

إسرائيل قد تتخلى عن ضغطها حيال الملف الإيراني، ولكن هذا السيناريو لن يتحقق إلا إذا أطلقت واشنطن يد إسرائيل في الملف الفلسطيني.

ولنا أن نتوقع والحال هذه، أن تعود إدارة الرئيس أوباما إلى ما تعودت عليه الإدارات التي سبقتها، حيث انتخابات الكونغرس النصفية على الأبواب، فمن الأسلم والمرجح أن تفضل حث الفلسطينيين –وهم الحلقة الأضعف في المعادلة– على تقديم تنازلات فيما يخص اتفاق الإطار المؤقت، بدل حث الإسرائيليين على ترك أسلوبهم الفظ والمستفز.

واستنادا إلى الدلائل التي يثيرها صمت الإدارة الأمريكية مؤخرا على الإهانات الموجهة لوزير الخارجية الأمريكي جون كيري من قبل وزير الدفاع الإسرائيلي موشيه يعالون، فيبدو أن لنتنياهو أسبابا كافية ليضمن حصول إسرائيل وأيباك على ما تريدانه من الإدارة الأمريكية.

وكما قال نتنياهو لبعض الإسرائيليين خلال حملته الانتخابية عام 2001 «إن أمريكا شيء يمكن أن يتم تحريكه بسهولة كبيرة، لنحركها بالاتجاه الصحيح، وسوف لن تقف في طريقنا».

عن «الجزيرة نت»